سُورةُ المُطَفِّفينَ

من آية (1) إلى آية (6)

الجزء الأول

أسماء السورة:

■سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المطَفِّفينَ) توقيفية، [وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. وتسمَّى أيضًا سورةَ التَّطفيفِ] اجتهادية.

بيانُ المكّيِّ والمدَنيّ:

سورةُ المطَفِّفينَ مُختَلَفٌ فيها؛ فقِيلَ: مَكِّيَّةٌ، وقيلَ: مَدَنيَّةٌ.

مَقاصِدُ السُّورةِ:

1- التَّحْذيرُ مِن التَّطْفيفِ .

2- الحديثُ عن الفُجَّارِ والأبرارِ، والموازنةُ بيْنَ مصيرِ كلٍّ منهما.

موضوعاتُ السورةِ:

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- التَّحذيرُ مِن التَّطفيفِ في الكَيلِ والميزانِ، وتوَعُّدُ المطَفِّفينَ، وتذكيرُهم بيَومِ البَعثِ والحِسابِ والجَزاءِ.

2- بيانُ سُوءِ عاقِبةِ الفُجَّارِ، وحُسنِ عاقِبةِ الأبرارِ، وبيانُ أنَّ صَحائِفَ أعمالِ الفُجَّارِ في أسفَلِ سافِلينَ، وصَحائِفَ أعمالِ الأبرارِ في أعلى عِلِّيِّينَ.

3- ذِكرُ ما كان يَفعَلُه المشرِكونَ مع المؤمِنينَ مِن استِهزاءٍ وإيذاءٍ.

4- تبشيرُ المؤمِنينَ بأنَّهم يومَ القيامةِ سيَضحَكونَ مِن الكُفَّارِ كما ضَحِكَ الكُفَّارُ منهم في الدُّنيا.

بدأت بالدعاء على المطففين " ويل للمطففين " لم يذكر اسم الجلالة في السورة ، بها سكتة لطيفة في الآية (14) .

■يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ أُمُورِ العَقِيدَةِ وَتَتَحَدَّثُ عَنِ الدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ خُصُومِهَا الأَلِدَّاءِ.

❶-تبتدئ السورة بإعلان الحرب على المطففين في الكيل والوزن، من قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ {1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {2}) إلى قوله تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {6})

❷-ثم تتحدث عن الأشقياء الفجار وتصور جزاءهم يوم القيامة ، من قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ {7}) إلى قوله تعالى : (ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ {17})

❸-وتحدث عن المتقين ومالهم من نعيم في الآخرة ، من قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ {18} وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ {19}) إلى قوله تعالى : (وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ {27} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ {28 }).

4- تختم السورة ببيان مواقف الأشقياء من الأبرار وسخريتهم منهم ، من قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ {29}) إلى قوله تعالى : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {36})

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) .

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿1﴾

سَبَبُ النُّزولِ: عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: "لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ -ρ- المدينةَ كانوا مِن أخبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فأنزَلَ اللهُ سُبحانَه: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ؛ فأحسَنُوا الكَيلَ بعْدَ ذلك" صَحَّحه ابنُ حِبَّانَ.

وقال السدي: قدم رسول الله ρ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) أي: عَذابٌ وهَلاكٌ لِلَّذين يَنقُصونَ النَّاسَ حُقوقَهم في المِكْيالِ والميزانِ. موسوعة التفسير

←افتِتاحُ السُّورةِ باسمِ الوَيلِ مُؤذِنٌ بأنَّها تَشتَمِلُ على وَعيدٍ، فلَفْظُ (وَيْلٌ) مِن بَراعةِ الاستِهلالِ.

قال القرطبي: قوله تعالى: ويل أي شدة عذاب في الآخرة، وقال ابن عباس: إنه واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار.

■وحقيقة التطفيف هو الإنقاص من الوزن أو الكيل شيئًا طفيفًا، يعني شيئًا نزرًا يسيرًا، وهو فن في التدليس والغش وأخذ حقوق الناس بطرق لا يشعرون بها.

هذه الآيةُ تحذيرٌ للمُسلِمينَ مِن التَّساهُلِ في التَّطفيفِ، وحَسْبُهم أنَّ التَّطفيفَ يَجمَعُ ظُلمًا واختِلاسًا ولُؤْمًا.

إن هذه السورة جاءت بهذا الشكل تأكيداً إلى أن التقصير في حقٍ صغيرٍ من حقوق البشر موجبٌ للهلاك، فكيف التقصير بأكبر حقٍ من حقوق الإله!! فكيف تنكره؟! وكيف تجحد فضله؟ وكيف تعصي أمره؟ وكيف لا تنتظر حسابه؟ فإذا قصَّرت تقصيراً يسيراً في حق إنسان فهذا موجبٌ للهلاك، فكيف إذا قصَّرت في حق الله الذي خلقك ولم تكن شيئاً؟! هذا موجبٌ للشقاء الأبدي.

قال البقاعي: تنبيهٌ على أنَّ أصلَ الآفاتِ: الخُلُقُ السَّيِّئُ، وهو حُبُّ الدُّنيا المُوقِعُ في جَمعِ الأموالِ مِن غَيرِ وَجْهِها، ولو بأخَسِّ الوُجوهِ؛ التَّطفيفِ الَّذي لا يَرضاه ذو مُروءةٍ.

قال ابن عطية: أنَّه إذا كان الوعيدُ بالوَيلِ على الشَّيءِ الطَّفيفِ، فما فَوقَه مِن بابٍ أَولى.

قال ابن عطية: ولا ينفَعُ فيما وقع مِن التَّطفيفِ ولا يُخلِّصُ صاحِبَه إلَّا التَّوبةُ، ورَدُّ المظْلمةِ إلى صاحِبِها،

وقال مالِكُ ابنُ دِينارٍ: (احتُضِرَ جارٌ لي، فجعل يقولُ: جبلانِ مِن نارٍ، فقلتُ له ما هذا؟ فقال لي: يا أخي، كان لي مِكيالانِ، آخُذُ بالوافي، وأُعطي بالنَّاقِصِ).

كما قال تعالى: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ [الرحمن: 9].

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾﴿2﴾

(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) أي: الَّذين إذا اشتَرَوا مِنَ النَّاسِ ما يُباعُ بالكَيلِ أخَذُوا حَقَّهم كامِلًا بلا نَقْصٍ. موسوعة التفسير

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾﴿3﴾

(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) أي: وإذا كالُوا أو وَزَنوا للنَّاسِ حينَ يَبِيعونَ لهم ما يُكالُ أو يُوزَنُ يَنقُصونَهم حَقَّهم. موسوعة التفسير

قال ابنُ عثيمين: (فهؤلاء يَستَوفُونَ حَقَّهم كاملًا، ويَنقُصونَ حَقَّ غَيرِهم؛ فجَمَعوا بيْن الأمْرَينِ؛ بيْن الشُّحِّ والبُخلِ. الشُّحُّ: في طَلَبِ حَقِّهم كاملًا بدونِ مُراعاةٍ أو مُسامحةٍ. والبُخلُ: بمَنعِ ما يجِبُ عليهم مِن إتمامِ الكَيلِ والوَزنِ).

قال ابن عثيمين: هذا مِثالٌ ذَكَرَه اللهُ عزَّ وجلَّ في الكَيلِ والوَزنِ، فيُقاسُ عليه كلُّ ما أشْبَهَه؛ فكلُّ مَن طَلَبَ حقَّه كامِلًا ممَّن هو عليه، ومَنَعَ الحقَّ الَّذي عليه: فإنَّه داخِلٌ في الآيةِ الكريمةِ؛ فمثلًا الزَّوجُ يريدُ مِن زوجتِه أنْ تعطيَه حقَّه كاملًا، ولا يَتهاوَنُ في شَيءٍ مِن حقِّه، لكِنَّه عندَ أداءِ حقِّها يَتهاوَنُ، ولا يُعطيها الَّذي لها! ورُبَّما يَنْقُصُ أكثرَ حقِّها مِن النَّفَقةِ والعِشْرةِ بالمعروفِ وغيرِ ذلك، وأيضًا الموظَّفُ إذا كان يريدُ أنْ يُعطَى راتبَه كامِلًا لكِنَّه يتأخَّرُ في الحُضورِ أو يتقدَّمُ في الخُروجِ، فإنَّه مِن المطفِّفينَ الَّذين توعَّدَهم اللهُ بالوَيلِ؛ لأنَّه لا فرقَ بيْن إنسانٍ يَكيلُ أو يَزِنُ للنَّاسِ، وبيْن إنسانٍ مُوظَّفٍ عليه أنْ يَحْضُرَ في السَّاعةِ الفلانيَّةِ ولا يَخْرُجَ إلَّا في السَّاعةِ الفلانيَّةِ، ثُمَّ يتأخَّرُ في الحضورِ ويتقدَّمُ في الخُروجِ! هذا مُطفِّفٌ، وهذا المطفِّفُ في الوظيفةِ لو نَقَصَ مِن راتبِه ريالٌ واحِدٌ مِن عَشَرةِ آلافٍ لَقال: لماذا تَنْقُصُ! هذا مُطفِّفٌ يَدخُلُ في هذا الوَعيدِ.

قال ابن عثيمين: وأيضًا فمِن الحَيفِ والجَورِ أنْ يَتكَلَّمَ الإنسانُ في شَخصٍ كعالِمٍ أو تاجرٍ أو أيِّ إنسانٍ، ثُمَّ يَذْكُرَ مَساوِيَه -الَّتي قد يكونُ معذورًا فيها- ولا يَذْكُرَ محاسِنَه! هذا ليس مِن العَدْلِ؛ يأتي إلى عالِمٍ مِن العُلَماءِ أخطأ في مَسألةٍ وهو فيها معذورٌ، ثُمَّ يَنْشُرُ هذه المسألةَ الَّتي أخطَأَ فيها، ويَنْسَى محاسِنَ هذا العالِمِ الَّذي نفَعَ العِبادَ بكَثيرٍ مِن عِلْمِه! هذا لا شَكَّ أنَّه تطفيفٌ وجَورٌ وظُلْمٌ.

وأهلك الله قوم شعيب ودَمَّرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال، أمة عوقبت، وكان من أبرز جرائمهم التطفيف، قال -Y-: (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ

غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[الأعراف:85].

معاوية -τ- لما أخذ خصلة من شعر على المنبر عندما جاء إلى المدينة أخذها من يد حارس معه أخذها وقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ أين فقهاؤكم ؟ وذكر الحديث عن رسول الله -ρ- في هلاك بني إسرائيل بمثل هذه، هلاك بني إسرائيل لما تساهلوا في وصل الشعر -شعر النساء-.

فبعض الناس يقول: أنتم ما عندكم إلا الحجاب وتاركون الهموم الكبرى للمجتمع، ويسخرون ممن يتكلم على المسائل الشرعية في الطهارة والعبادة وما إلى ذلك، وهؤلاء ما فهموا حقيقة الدين، إذا كان رسول الله -ρ- قال (لتُسَوُّنَّ صُفوفَكم أو ليُخالِفنَّ اللهُ بينَ وُجوهِكم) (قلوبكم)وخصلة شعر سبب هلاك لبني إسرائيل، فهذه الأمور التي يظن أنها حقيرة قد تكون هي سببًا لمصائب تقع للأمة، لغلبة العدو، لهلاك، لعقوبات عامة، فالدين يؤخذ كاملاً كما أنزله الله -عز وجل- وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ثم هذا التطفيف ليس فقط في حبوب وغيره من الماديات ، بل يشمل التطفيف المعنوي.... وهذا أخطر لعدم شعور الناس به، فهناك من يخاف من المال الحرام فلا يأكل درهم لكنه يأكل لحوم الناس ليلاً نهاراً....

انظروا حال الناس في المدح والذم إذا كان الإنسان يتكلم عمن يحبه أو نحو ذلك أطراه وأعطاه الأوصاف الكبار العظام وجعله الإمام الأوحد، وإذا تكلم فيمن يبغض بخسه تمامًا وجعله لا علم له ولا دين ولا عمل، مسخه مسخًا كاملاً، وقد يكون أثنى عليه قبل ذلك، لكن لما اختلف معه نعوذ بالله أسقطه من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، وهذه الصفة من صفات اليهود، إذا خاصم فجر، كما حدث لابن سلام -τ- عندما جاء إلى النبي -ρ- وأراد أن يسلم، فأسلم وطلب من النبي -ρ- أن يكتم ذلك عليه حتى يسأل اليهود عنه، فسألهم عنه فقالوا: هو خيرنا وابن خيرنا، وحبرنا، فلما قال: أرأيتم إن أسلم؟ قالوا: معاذ الله، فلما رأوه أسلم قالوا: شرُّنا وابن شرنا. في مجلس واحد! فهذا من التطفيف، قال -ρ-:(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ) [الشعراء:183]، الإنسان يتكلم بعلم وعدل، ويتقي الله فيما يقوله مع من يحب ومن يكره بحال الرضا والغضب، كلمة الحق يلزمها دائمًا ولا يجوز أن يبخس أحدًا؛ لأنه لا يحبه، فيقول: فلان ليس عنده علم، فلان فاجر، فلان منافق، فهذا لا يجوز -نسأل الله العافية-، وهو من التطفيف، (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ)[الانعام:152].

قال عُلَماءُ الدِّينِ: (التَّطفيفُ في كُلِّ شَيءٍ؛ في الصَّلاةِ والوُضوءِ، والكَيلِ والميزانِ)، كما أنَّ السَّرِقةَ في كُلِّ شَيءٍ، وأسوأُ النَّاسِ سَرِقةً مَن يَسرِقُ صَلاتَه؛ فلا يُتِمُّ ركوعَها ولا سُجودَها.

قال رسول الله -ρ-: "أسوأُ النَّاسِ سرقةً الذي يسرِقُ صلاتَه. قال: وكيفَ يسرقُ صلاتَه. قال: لا يتمُّ ركوعَها ولا سجودَها". أخرجه ابن حبان

وعن سَلْمانَ الفارسيّ رضيَ الله عنه، قال: (الصَّلاةُ مِكيالٌ، فمَن أَوفى أَوفى اللهُ له، وقد عَلِمتُم ما قال اللهُ في الكَيلِ: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ).

قال مالِكٌ: (وكان يُقالُ: في كُلِّ شَيءٍ وفاءٌ وتطفيفٌ)، فإذا توعَّد اللهُ سُبحانَه بالوَيلِ للمُطَفِّفينَ في الأموالِ، فما الظَّنُّ بالمطَفِّفينَ في الصَّلاةِ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾﴿4﴾

(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) أي: ألَا يَظُنُّ أولئك المطَفِّفونَ أنَّهم مَبعوثونَ مِن قُبورِهم أحياءً بَعْدَ مَوتِهم. موسوعة التفسير

الهَمزةُ للاستِفهامِ الإنكاريِّ التَّعْجيبيِّ ، بحَيثُ يَسألُ السَّائلُ عن عِلمِهم بالبَعثِ، كأنَّهم لا يَخطُرُ بِبالِهم، ولا يُخمِّنون تَخْمينًا أنَّهم مَبْعوثونَ ومُحاسَبون على مِقدارِ الذَّرَّةِ والخَرْدَلةِ.

قال ابن عطية: أنَّ عَدَمَ الإيمانِ بالبَعْثِ أو الشَّكَّ فيه: هو الدَّافِعُ لكُلِّ سُوءٍ، والمضَيِّعُ لكُلِّ خيرٍ، وأنَّ الإيمانَ باليَومِ الآخِرِ هو المنطَلَقُ لكُلِّ خيرٍ، والمانِعُ لكُلِّ شَرٍّ، والإيمانُ بالبَعثِ هو مُنطَلَقُ جميعِ الأعمالِ الصَّالحةِ.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾﴿5﴾

(لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أي: ليومٍ عَظيمٍ شأنُه، شديدةٍ أهوالُه. موسوعة التفسير

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴿6﴾

(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي: يومَ يكونُ النَّاسُ قيامًا لله رَبِّ العالَمينَ، فيُحاسِبُهم ويُجازيهم على أعمالِهم. موسوعة التفسير

وفي تَخصيصِ (ربِّ العالَمينَ) بالذِّكرِ هنا مِن بيْنِ سائرِ الصِّفاتِ: إشْعارٌ بالمالِكيَّةِ والتَّربيةِ، ولاستِحضارِ عَظَمتِه بأنَّه مالِكُ أَصنافِ المخلوقاتِ؛ فلا يَمتَنِعُ عليه الظَّالمُ القَويُّ، ولا يَترُكُ حَقَّ المظلومِ الضَّعيفِ.

في هذا الإنْكارِ والتَّعْجيبِ، وكَلِمةِ الظَّنِّ، ووَصفِ اليَومِ بالعِظَمِ، وقِيامِ النَّاسِ فيه للهِ خاضِعينَ، ووَصْفِه ذاتَه برَبِّ العالَمينَ: بَيانٌ بَليغٌ لعِظَمِ الذَّنْبِ وتَفاقُمِ الإثمِ في التَّطفيفِ، وفيما كان في مِثلِ حالِه مِن الحَيفِ، وتَرْكِ القِيامِ بالقِسطِ والعَملِ على السَّويَّةِ والعَدْلِ في كُلِّ أخْذٍ وإعْطاءٍ، بل في كُلِّ قَولٍ وعَملٍ، وليس ذلك كُلُّه مِن أجْلِ التَّطْفيفِ مِن حَيثُ هو التَّطفيفُ، بل مِن حَيثُ إنَّ الميزانَ قانونُ العَدْلِ والاستِقامةِ، وهو الحِكمةُ في الخَلقِ والتَّكليفِ، والحَشْرِ والنَّشْرِ، ومَن تَطفَّفَ حاوَلَ إبْطالَ حِكمةِ اللهِ في الدَّارَينِ.

قال الشنقيطي: أنَّهم إذا بُعِثوا إلى ذلك اليَومِ العَظيمِ، وقام النَّاسُ لرَبِّ العالَمينَ، واجتَمَع الخلائِقُ الأوَّلونَ والآخِرونَ في صَعيدٍ واحدٍ يَنفُذُهم البَصَرُ، ويُسْمِعُهم الدَّاعي: أنَّ ذلك الخائِنَ النَّاقِصَ في الكَيلِ والوَزنِ يُنادَى به على رُؤوسِ الأشهادِ، ويُفتَضَحُ على رُؤوسِ الأشهادِ يومَ القيامةِ، وفَضيحةُ القيامةِ ليست كفَضيحةِ الدُّنيا.

يومُ القيامةِ إنَّما سُمِّيَ يومَ القيامةِ؛ لوُجوهٍ ثلاثةٍ:

الوَجهُ الأوَّلُ: أنَّ النَّاسَ يَقومون فيه مِن قُبورِهم للهِ عزَّ وجَلَّ، كما قال اللهُ تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

الثَّاني: أنَّه يُقامُ فيه العَدلُ؛ لِقَولِ اللهِ تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا [الأنبياء: 47] .

والثَّالثُ: أنَّه يقومُ فيه الأشهادُ، كما قال تعالى: وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر: 51] .

فالذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدى الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه.

في التدبر في التعليل أو الربط بين الجنايات والتضييع لحقوق الله وما إلى ذلك بمسألة التكذيب أو عدم الإيمان بالآخرة، لأنه هو المحرك الذي يحمل الإنسان على الامتثال، فهنا الله -تبارك وتعالى- يقول:(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) كيف يجترئون على هذا؟ ألا يعلمون أن الله سيحاسبهم ويجازيهم على هذا العمل؟ في ذلك اليوم العظيم يقف الناس وقوفًا طويلاً في أرض المحشر، أو يقفون للحساب، يومًا مقداره خمسين ألف سنة؛ قال الله - تعالى -: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4].

يقومون حفاة عراة غُرْلا في موقف صعب حَرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تَعْجزُ القوى والحواس عنه.

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حتَّى يَغِيبَ أحَدُهم في رَشْحِه(عَرَقِه) إلى أنصافِ أُذُنَيه!))رواه البخاري .

قال رسول الله -ρ-: (تُدْنَى الشَّمْسُ يَومَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حتَّى تَكُونَ منهمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ -قالَ سُلَيْمُ بنُ عامِرٍ: فَواللَّهِ ما أدْرِي ما يَعْنِي بالمِيلِ؛ أمَسافَةَ الأرْضِ، أمِ المِيلَ الذي تُكْتَحَلُ به العَيْنُ؟- قالَ: فَيَكونُ النَّاسُ علَى قَدْرِ أعْمالِهِمْ في العَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى كَعْبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى حَقْوَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجامًا. قالَ: وأشارَ رَسولُ اللَّهِ -ρ- بيَدِهِ إلى فِيهِ). صحيح مسلم

وفي سنن أبي داود: "أن رسول الله -ρ- كان ويتعوَّذُ من ضيقِ المقامِ يومَ القيامةِ ".

ويهوّن الله أمر الوقوف على أهل الإيمان، نسأل الله لنا ولكم من فضله؛ قال رسول الله - ρ-: "يومُ القيامَةِ على المؤمنينَ كقدْرِ ما بينَ الظُّهرِ والعصرِ". صحيح الجامع

ويظل الله - سبحانه - يوم القيامة أهل الإيمان في ظله الظليل يوم لا ظل إلا ظله، ويقول -Y- في ذلك الموقف العظيم: "يَومَ القِيامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي؟ اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي"، جعلني الله وإياكن من المتحابين بجلال الله.

وقالَ رسُولُ اللَّه –ρ– : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظلُّهُ : إِمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّه تَعالى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّق بالمسَاجِدِ ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّه ، اجتَمَعا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ ، وَرَجَلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخافُ اللَّه ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةَ فأَخْفاها حتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمالهُ ما تُنْفِقُ يَمِينهُ ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ". متفق عليه

قال –Y–:"وعِزَّتِي لا أجمعُ على عَبدي خَوفيْنِ وأَمنيْنِ ، إذا خافَني في الدُّنيا أَمَّنْتُه يومَ القيامةِ ، وإذا أَمِنَني في الدُّنيا أَخَفْتُه في الآخِرةِ" صحيح الترغيب

■أحسن وقوفك بين يدي الله في الدنيا ، ليسهل عليك القيام بين يديه في الآخرة.